واقع هجرة الأدمغة من فلسطين: الأسباب والنتائج
دراسة استكشافية

د. عبد القادر إبراهيم حماد
جامعة الأقصى/ غزة- فلسطين
abedalqaderh@hotmail.com

د. محمد تيسير كتانه
جامعة بيرزيت/ بيرزيت-فلسطين
mtkittaneh@birzeit.edu

د. أحمد إبراهيم حماد
جامعة الأقصى/ غزة- فلسطين
dr.ahhammad@hotmail.com

الملخص:

مثل هجرة الأدمغة من فلسطين ظاهرة خطيرة تهدد المجتمع الفلسطيني سيما في ظل تفاقم هذه الظاهرة في ظل غياب الاستقرار السياسي والاقتصادي، واستمرار الانتهاكات والجرائم الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني. وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على واقع هجرة الأدمغة في فلسطين، ومحاولة تحديد أهم الأسباب المؤدية لهذه الظاهرة والنتائج المترتبة عليها. واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي باعتباره من المناهج الملائمة لمثل هذه الدراسات، كما أُستُخدمتْ العديد من الأساليب، مثل: المقابلات المعمقة والرسوم البيانية والاستبانة...الخ. وقد توصلت الدراسة الى العديد من النتائج، منها: أن الانقسام والمناكفات السياسية الحاصلة بين غزة والضفة سبباً رئيساً في تفاقم ظاهرة هجرة الكفاءات والشباب الفلسطيني، وانتهت الدراسة إلى العديد من النتائج، منها: الدعوة لوضع استراتيجية شاملة للتنمية البشرية في فلسطين؛ لتوفير بيئة مناسبة وحاضنة للكفاءات الفلسطينية لضمان الاستثمار الصحيح للكفاءات والكوادر الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية: هجرة الأدمغة، رأس المال البشري، فلسطين، الاحتلال الإسرائيلي.

The reality of brain drain from Palestine: Causes and Consequences Exploratory Study

Dr. Abed Al Qader I. Hammad
al-aqsa University, Gaza- Palestine
abedalqaderh@hotmail.com

Dr. Mohammad Kittaneh
Birzeit University, Birzeit- Palestine
mtkittaneh@birzeit.edu

Dr. Ahmed I. Hammad
al-aqsa University, Gaza, Palestine
dr.ahhammad@hotmail.com

Abstract

The brain drain from Palestine is a dangerous phenomenon that threatens Palestinian society, especially during the aggravation of this phenomenon in the absence of political and economic stability and the persistence of Israeli violations and crimes against the Palestinians. This study aims to identify the reality of brain drain in Palestine and to try to identify the most important causes leading to this phenomenon and its consequences. The researchers used the descriptive analytical approach as one of the appropriate approaches for such studies. In addition, several methods have been used, such as in-depth interviews, charts, questionnaires...etc. The study reached several results, including: The division and the political conflict between Gaza and the West Bank are a major cause of the exacerbation of the phenomenon of brain drain and Palestinian youth. The study concluded with many results, including the call for a comprehensive strategy for human development in Palestine to provide an appropriate and nurturing environment for Palestinian competencies to ensure the correct investment of Palestinian.

***Keywords**:* brain drain, human capital, Palestine, Israeli occupation.

أولاً: تمهيد:

تُعَدُّ الهجرة ظاهرة قديمة قدم الإنسان، فمنذ أقدم عصور التاريخ والمجتمعات الإنسانية تتعرض لتيارات متتالية من الهجرة يقوم بها الناس –أفراد وجماعات–لأوقات محددة أو بصورة دائمة، ولكن تغيرت ظاهرة الهجرة في الوقت الحاضر من حيث حجمها ومن حيث سرعتها، ولذا ازداد اهتمام علماء الاقتصاد والاجتماع والأنثروبولوجيا والجغرافية والسياسة والمنظمات الدولية وغير الدولية بدراسة مختلف المسائل المتصلة بالهجرة، فأصبحت ظاهرة عالمية (فاطمة والطيب، 2014، ص169). وقُدِّر عدد المهاجرين من البلدان العربية في العام 2013م بحوالي 22 مليون نسمة بما يشكل نحو 5.9% من مجموع سكان المنطقة العربية في ذلك العام (الأسرج، 2016، ص5). ومن أصل 60 مليون لاجئ في العالم تأتي نسبة 40% من المنطقة العربية وبشكل أساسي من فلسطين وسوريا والعراق (سبيتي، 2022).

وترتبط الهجرة –بشكل عام– في الذاكرة الفلسطينية بالنكبة والنزوح والمآسي المتلاحقة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني....سيما منذ الاحتلال البريطاني لفلسطين مروراً بإقامة دولة الكيان الصهيوني على معظم فلسطين، والنكبة التي ألمت بالشعب الفلسطيني الذي اضطر للهجرة عن أرضه بسبب المذابح التي ارتكبتها العصابات الصهيونية بحق المواطنين العزل، ثم النكسة التي أصابت الشعب الفلسطيني والأمة العربية في نهاية ستينات القرن الماضي والتي أجبرت قسماً آخر من الشعب الفلسطيني على الهجرة والنزوح عن أرضه، لتتوالى الكوارث والاعتداءات على الشعب الفلسطيني والتي مازالت مستمرة حتى يومنا هذا؛ مما يدفع بالكثيرين من أبناء الشعب الفلسطيني للهجرة عن أرضه، بحثاً عن فرص أفضل للحياة والعيش الكريم.

وبالرغم من إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على أجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة، إلاَّ أنَّ الظروف السياسية والأمنية والاقتصادية.... الخ كانت عاملاً لدفع المزيد من الفلسطينيين للهجرة الى الخارج، خاصة بعد الانقسام الفلسطيني الداخلي، والحصار الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة، وتقطيع سلطات الاحتلال لأوصال الضفة الغربية واحتلال مساحات كبيرة من أراضيها (القيسي، مقابلة شخصية، 25 يناير 2023).

وبالرغم من ملايين الفلسطينيين الذين اضطروا قسراً للهجرة، إلاَّ أنَّ شريحة كبيرة من أبناء شعبنا الذي يمثل المتعلمين فيه الشريحة الأكبر هاجروا بحثاً عن فرص أفضل للحياة في

العديد من الدول سواء دول عربية أو أجنبية، التي عملت ومازالت على استقطاب الأدمغة الفلسطينية.

ولا يُخفى على أحد أن الأوضاع في الأراضي الفلسطينية "الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة" وخاصة في قطاع غزة تزداد سوءاً سيما في ظل غياب أية ملامح أو مؤشرات إيجابية أمام أبناء الشعب الفلسطيني خاصة من الشباب ومن أصحاب الخبرات والكفاءات العلمية والتقنية المتميزة، ممَّا يضطر بعضهم للهجرة إلى الخارج سعياً لتحسين ظروفهم أو البحث عن حياة كريمة خارج بلادهم.

1. أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من كونها تسلط الضوء على ظاهرة خطيرة من الظواهر التي تواجه المجتمع الفلسطيني خاصة في ظل المتغيرات السياسية والاقتصادية والأمنية والمعيشية التي يعيشها الشعب الفلسطيني؛ ممَّا يساعد في التعرف على أسبابها ودوافعها، والنتائج المترتبة عليها.

2. مشكلة الدراسة:

تشير تقارير الهجرة الدولية لارتفاع عدد المهاجرين الدوليين بنسبة 3.5٪، بإجمالي 272 مليون شخص عام 2019، 74% تتراوح أعمارهم بين 20 و64 عامًا (United Nations, 2020) إلاَّ أنَّ الأعداد تشير لازدياد الهجرة الدولية على مدى العقود الخمسة الماضية. كما تقدر منظمة العمل العربية الخسائر التي تكبدتها الدول العربية جراء هجرة الأدمغة بأكثر من 200 مليار دولاراً سنويًا. حيث ترتبط هذه الأرقام بخسائر ناتجة عن تكلفة تعليم وتأهيل العمالة في المنطقة العربية ولا تجد عمالاً في أوطانها نتيجة سوء معاملتهم خاصة عند عودتهم الى بلادهم اضافة الى محاربتهم وحرمانهم من العمل في مجال تخصصهم (Ghanaiem & Abdul Shafy, 2021, p2).

أمَّا على المستوى الفلسطيني، فقد تفاقمت هجرة الأدمغة خلال السنوات القليلة الماضية خاصة في ظل حالة الإحباط السياسية التي يمر بها الشارع الفلسطيني، والأوضاع الاقتصادية المتدهورة التي تواجه الشعب الفلسطيني خاصة في ظل تقطيع أوصال الضفة الغربية، وفرض قيود مشددة على حركة الفلسطينيين، والحصار الإسرائيلي المشدد على قطاع غزة (حماد، مقابلة شخصية، 23 يناير 2023) حيث تشير التقديرات الصادرة عن بعض

الجهات الفلسطينية إلى أن أربعة آلاف فلسطيني في المتوسط هاجروا من الضفة الغربية سنويًا في العقد الماضي.

وتشير بعض الدراسات إلى أن غالبية طالبي الهجرة هم من المواطنين الفلسطينيين المسيحيين لسهولة حصولهم على الفيزا للخارج والاندماج والتقبل الأسرع في الدول الغربية. لكن هذه الظاهرة اتسعت بعد ذلك لتشمل المسلمين منهم وحتى بعض الكوادر في السلطة الوطنية الفلسطينية وبعض المفكرين والتجار ورجال الأعمال، والمثقفين وأصحاب رؤوس الأموال (بدوان، 2011). وعلى ضوء ذلك يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

- ما واقع هجرة الأدمغة من فلسطين في ظل المتغيرات السياسية والاقتصادية التي يعيشها الشعب الفلسطيني؟

وينبثق من هذا السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية على النحو الآتي:

1- ما أهم الأسباب التي تدفع الأدمغة الفلسطينية للهجرة؟
2- ما أهم مؤشرات هجرة الأدمغة من فلسطين؟
3- ما أهم النتائج المترتبة على هجرة الأدمغة من فلسطين؟

3. أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على أهم مؤشرات هذه الظاهرة في فلسطين ودوافعها والنتائج المترتبة عليها. وبناءً على التساؤلات السابقة يمكن صياغة أهداف الدراسة على النحو الآتي:

1- التعرف على أهم الأسباب التي تدفع الأدمغة الفلسطينية للهجرة.
2- التعرف على مؤشرات هجرة الأدمغة من فلسطين.
3- التعرف على أهم النتائج المترتبة على هجرة الأدمغة من فلسطين.

4. مناهج وأساليب الدراسة:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة باعتباره من أكثر المناهج ملائمة لهذه الدراسات، كما أُستُخدِمتْ العديد من أساليب الدراسة خاصة المقابلات المعمقة، والخرائط والأشكال البيانية.

5. حدود الدراسة:

– **الحد الزماني**: قام الباحثون بإجراء الدراسة خلال العام 2022 وبداية يناير 2023. إلا أن غالبية البيانات والمؤشرات التي جمعها الباحثون تعود لأعوام سابقة مختلفة بسبب عدم توفر البيانات والإحصاءات المتعلقة بهجرة العقول، أو حتى إحصاءات وبيانات متعلقة بالهجرة الفلسطينية وذلك بسبب سيطرة الاحتلال الإسرائيلي على المعابر والحدود، وحيث أن غالبية البيانات المنشورة ما هي إلا نتائج دراسات ميدانية من خلال استبانات، أو تقديرات مراكز الإحصاء المختلفة. لذلك يتم الاستعانة بما توفر من بيانات سابقة منذ عام 2000.

– **الحد المكاني**: شملت الدراسة الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 "الضفة الغربية وقطاع غزة".

– **الحد الموضوعي**: دراسة واقع هجرة الأدمغة من فلسطين وأسبابها والنتائج المترتبة عليها.

شكل (1) منطقة الدراسة "الضفة الغربية وقطاع غزة"

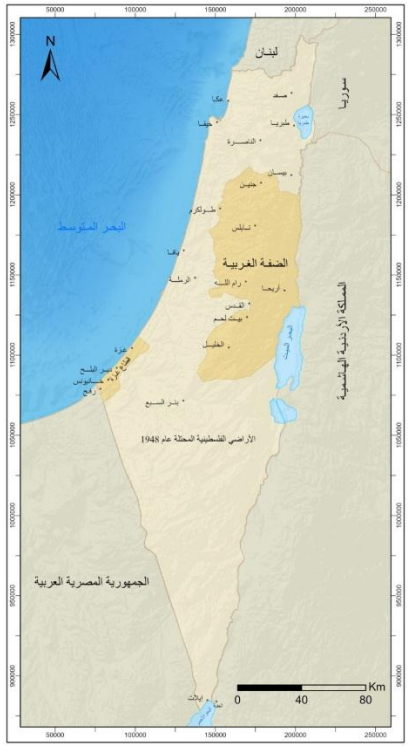

المصدر: وزارة الحكم المحلي 2023، رام الله – فلسطين، بتصرف الباحثين.

6. الدراسات السابقة:

– تطرقت دراسة Kerr and others (2017) إلى ازدياد أهمية هجرة الكفاءات على الصعيد العالمي. حاولت الدراسة استكشاف ودراسة هجرة ذوي المهارات العالية بإيجاز بين الماضي والحاضر والمستقبل المحتمل. ورأت الدراسة أن توفر المزيد من البيانات الفردية وأفضلها يعد أمرًا بالغ الأهمية لتعزيز معرفتنا بأسباب وتأثيرات وأنماط هجرة ذوي المهارات العالية. وركزت على أن حاجة أولاً إلى التحديد الواضح حول المقصود بهجرة "المهارات العالية" لجعل مجموعة الأدبيات أكثر اتساقًا، وثانيًا، يجب استخدام البيانات الجديدة بشكل منهجي.

– وناقش Offiong, and others (2023) أزمة هجرة العقول المستمرة في قطاع الرعاية الصحية مع التركيز على نيجيريا حيث أنه من المعروف جيدًا أن المهنيين الإكلينيكيين المؤهلين مثل: الأطباء والممرضات والصيادلة يهاجرون من البلدان النامية إلى الدول المتقدمة لممارسة المهنة، ومع ذلك، هناك زيادة مقلقة في هذا الاتجاه .وبينت الدراسة أن درجة هجرة الأدمغة بين القوى العاملة الصحية اتخذت أبعادًا مخيفة في إفريقيا، وبشكل أكثر وضوحًا في نيجيريا. ونتيجة لقضية هجرة الأدمغة، من الصعب للغاية تلبية الطلب على العمالة في صناعة الرعاية الصحية والاقتصاد الأكبر للبلدان المرسلة .لا يقتصر موضوع هجرة الأدمغة في نيجيريا على صناعة واحدة؛ ومع ذلك، فقد شهد قطاع الرعاية الصحية خسارة كبيرة. وقدمت الدراسة خلفية عن المشكلة وآثارها ونتائجها.

– وبينت دراسة Ipinnimo, and others (2023) أن مشكلة نقص المتخصصين في الرعاية الصحية في أفريقيا جنوب الصحراء بما في ذلك نيجيريا التي لديها حوالي 25 ٪ من عبء المرض العالمي ولكن أقل من 2 ٪ من القوى العاملة في مجال الرعاية الصحية قد تفاقمت بسبب هجرة العقول الطبية .وعزت الدراسة هجرة العقول الطبية في نيجيريا إلى فشل قيادة النظام الصحي في البلاد الذي ينبع من ضعف البصيرة وإهمال المشكلة، وكشفت الدراسة أن وجهة المهاجرين المتخصصين في الرعاية الصحية في نيجيريا كانت إلى المملكة المتحدة والولايات المتحدة وكندا وأستراليا ودول متقدمة أخرى ورأت أنه لوقف هذا المد هناك حاجة للحكومة على جميع المستويات لإعطاء الأولوية لهذا الخطر على جدول الأعمال السياسي والعمل جنبًا إلى جنب مع مديري مؤسسات الرعاية الصحية والقادة الآخرين وأصحاب المصلحة في قطاع الصحة لتعزيز وتحسين الرفاهية وظروف العمل.

– كما كشفت دراسة Khuc and others (2012) أن تلوث الهواء مشكلة رئيسة تؤثر بشدة على صحة السكان في المناطق الحضرية في البلدان النامية مما يعزز توجهاتهم للهجرة إلى مكان آخر مما قد يؤدي إلى فقدان القوى العاملة الماهرة والموهوبة. هذا الوضع يسمى ظاهرة هجرة الأدمغة. واستخدمت الدراسة الحالية إطار عمل Bayesian mindsponge (BMF) على استجابات 475 من سكان المناطق الحضرية في هانوي، فيتنام – التي تعد واحدة من أكثر العواصم تلوثًا في العالم – لدراسة مخاطر فقدان القوى العاملة الموهوبة بسبب تلوث الهواء. وأظهرت نتائج الدراسة أن الأشخاص ذوي المستويات التعليمية العليا هم أكثر تفكيرا للهجرة محليًا ودوليًا بسبب تلوث الهواء. فيما يتعلق بنيّة الهجرة الداخلية، يكون لدى الشباب والذكور احتمالية أكبر للهجرة مقارنة بنظرائهم. يعمل العمر والجنس أيضًا على تعديل الارتباط بين المستوى التعليمي ونية الهجرة الدولية، لكن موثوقيتها تحتاج إلى مزيد من التبرير. ورأت الدراسة أن الضغوطات البيئية الناجمة عن تلوث الهواء يمكن أن تؤثر على نية نزوح المواطنين على نطاق واسع من خلال الآلية النفسية الشخصية للحكم على التكلفة والعائد. وانتهت إلى أنه نظرًا لخطر تلوث الهواء على الموارد البشرية، فإن بناء ثقافة الفائض البيئي أمر بالغ الأهمية لتعزيز المرونة البيئية والاجتماعية والاقتصادية.

– واعتبرت دراسة Biglari and others (2012) أن أزمة هجرة الأدمغة من بين أكثر القضايا صعوبة في العديد من البلدان النامية، وتُعزى إلى الآثار المركبة لعوامل متعددة. نظرًا لأن المجتمعات وتحدياتها تصبح أكثر تعقيدًا، فإن مجموعات جديدة من أدوات البحث المختلطة التي تحقق بشكل نقدي في هذه القضايا كنظم كاملة بدلاً من الأجزاء المعزولة أمر بالغ الأهمية لاتخاذ القرارات في المستقبل. في ضوء ذلك، توفر مناهج البحث المختلطة الفرصة للتغلب على معظم قيود الأساليب الفردية وتقديم حلول محتملة للمشكلات المعقدة التي تكون أكثر تعمقًا من شكل واحد من طرق البحث. في هذه الورقة، من خلال الاعتماد على الخصائص التكميلية لتحليل الطبقات السببية وديناميكيات النظام التشاركي، تم اقتراح نهج مختلط للتحقيق في السلوكيات المستقبلية للأنظمة الاجتماعية والاقتصادية المعقدة واستكشاف فعالية التدخلات السياسية المختلفة بمرور الوقت. علاوة على ذلك، تم تقديم دراسة حالة هجرة الأدمغة الإيرانية لمزيد من التقييم للنهج المقترح. الآثار المترتبة على النهج

المقترح لتنقل المهارات أو ما يسمى بظاهرة هجرة الأدمغة هو الدور الذي لا جدال فيه لكفاءة رأس المال البشري في التطورات المستقبلية للأمة. من خلال هذا النهج، في الخطوة الأولى يتم تحليل قضية ما بشكل نقدي وتفكيكها إلى أربع طبقات، وهي عبارة عن مجموعة، وبنية، ونظرة عالمية، واستعارة. في الخطوة الثانية، يتم تنفيذ نهج تشاركي لنمذجة القضية بشكل منهجي بناءً على نتائج الخطوة السابقة عبر خمس مراحل. تكمن فائدة هذا النهج في قدرته على إجراء فحص نقدي للسلوكيات المستقبلية للأنظمة المعقدة تحت تأثير التدخلات والسيناريوهات السياسية المختلفة. لذلك، فإنَّ النهج المقترح سيولد قيمة نظرية للباحثين في مجال الدراسات المستقبلية ويضفي قيمة علمية لصانعي السياسات الذين يسعون إلى آلية أفضل للتحقيق النقدي في النظم الاجتماعية والاقتصادية المعقدة.

- وبحثت دراسة Latukha, and other (2022) العوامل التي تحدد نوايا هجرة المواهب كما ناقشت دور ممارسات إدارة المواهب على مستوى الشركة في معالجة هذه العوامل، وعكس هجرة العقول، وإدارة تدفقات المواهب. وباستخدام بيانات أولية من 557 خريجًا موهوبًا من جامعات روسية رائدة، وجدنا أن تأثير العوامل على مستوى الصناعة والأفراد، والتي تحدد نواياهم في الانتقال إلى الخارج، قد يخفف من خلال جذب المواهب وتنمية المواهب وممارسات الاحتفاظ بالمواهب. تشير النتائج إلى الدور الوسيط للعلم التجاري في إدارة هجرة المواهب على المستوى القطري. تسهم دراستنا في توسيع أدبيات ذاكرة الترجمة من خلال تقديم أدلة من منظور المستوى الفردي، ومبادرات العلامة التجارية على مستوى الشركة التي قد تعمل كآلية لتراكم رأس المال البشري والاحتفاظ به، ولتحسين نظام MTM على المستوى الوطني.

- واعتبرت دراسة Ghanaiem and Abdul Shafy (2021) أن ظاهرة هجرة العقول ظاهرة عالمية مع كونها أكثر وضوحاً في الدول النامية ومنها مصر، حيث أن الدول النامية تصدر العقول البشرية في مختلف التخصصات الي الدول المتقدمة، ومن ثم ينعكس هذا على مقدرات التنمية في الدول المصدرة للعقول البشرية مما يعود بخسارة كبيرة على هذه الدول. ومن ثم تصبح هناك أهمية لدراسة هذه الظاهرة، حيث تتمثل مشكلة الدراسة الحالية في تعرف مفهوم ظاهرة هجرة العقول البشرية وتأثيرها على الاستثمار التعليمي (دراسة حالة مصر) مستهدفة تشخيص الظاهرة عالمياً وعربياً ومحلياً ومن ثم التوصل إلى التوصيات

والمقترحات التي يمكن أن تحد من هذه الظاهرة مستقبلاً بما يعود بالنفع على مؤسسات التعليم العالي المصرية وزيادة فرص الاستثمار البشري في تلك العقول المبدعة والتي تنعكس بدورها علي تطوير المجتمع في كافة مجالات الحياة.

التعليق على الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة موضوع هجرة الأدمغة من زوايا مختلفة، فبعضها ركز على هجرة الكفاءات على الصعيد العالمي، مثل: دراسة (Kerr, and others, 2017)، بينما ناقشت دراسات أخرى النتائج الناجمة عن هجرة الأدمغة باعتباره من بين أكثر القضايا صعوبة في العديد من البلدان النامية، مثل: دراسة (Biglari, and others, 2022). في حين تطرقت دراسات أخرى الى النتائج المترتبة على هجرة الأدمغة الصحية، مثل: دراسة Offiong, and others (2023) ودراسة Ipinnimo, and others (2023). وبينت دراسة أخرى تأثير تلوث الهواء على هجرة الأدمغة، مثل: دراسة Khuc, Q. V., Nguyen, M. H., Le, T. T., Nguyen, T. L., Nguyen, T., Lich, H. K., Latukha, M., Shagalkina, & Vuong, Q. H. (2022). بينما ناقشت دراسة M., Mitskevich, E., & Strogetskaya, E. (2022) العوامل التي تحدد نوايا هجرة المواهب.

وتتميّز هذه الدراسة بأنها من الدراسات القليلة التي تحاول استكشاف واقع هجرة الأدمغة من فلسطين وبيان الأسباب والدوافع المؤدية لذلك والنتائج المترتبة عليها.

ثانياً: الخلفية النظرية

ظهر مصطلح "هجرة الأدمغة" لأول مرة في تقرير للجمعية الملكية بلندن عام 1963 في سياق هجرة العلماء البريطانيين إلى الولايات المتحدة (Giannoccolo 2006)، هناك العديد من المصطلحات التي تشير إلى "هجرة الأدمغة" في الأدبيات، مثل: "الهجرة المؤهلة تأهيلا عاليا"، "الهجرة الدولية الماهرة"، "قتل حركة العمالة الدولية"، "العابرون المهنيون"، "هجرة الخبرات"، "الهجرة النوعية، "نزوح الأدمغة"، "هجرة الأدمغة" أو "هجرة الأدمغة"، "نزوح المواهب"، و "تصدير الأدمغة. أيضًا، يتم استخدام هروب "قوة العقل" أو "فقدان رأس المال البشري" (Köser-Akçapar 2006).

1. مفهوم هجرة الأدمغة:

يشير مصطلح "هجرة الأدمغة" إلى النقل الدولي لموارد رأس المال البشري، وهو ينطبق بشكل أساسي على هجرة الأفراد المتعلمين تعليماً عالياً من البلدان النامية إلى البلدان المتقدمة، ويستخدم المصطلح عمومًا بمعنى أضيق وبشكل أكثر تحديدًا بهجرة المهندسين والأطباء والعلماء وغيرهم من المهنيين ذوي المهارات العالية جدًا الحاصلين على تدريب جامعي، غالبًا بين البلدان المتقدمة (Docquier, 2014).

وعرف قاموس كامبردج (2016) المصطلح بأنه "الوضع الذي يغادر فيه عدد كبير من المتعلمين وذوي المهارات العالية بلادهم للعيش والعمل في بلد آخر حيث الأجور والظروف أفضل". وتعتبر الفرص الاقتصادية، بما في ذلك الوظائف الجديدة والأفضل، ومستويات المعيشية الأعلى، والحصول على السكن والرعاية الصحية، الفتنة السياسية وعدم الاستقرار، الاضطهاد، من أهم الأسباب التي تزيد من هجرة العقول (Young,2021). ويظهر رأس المال البشري ذو التعليم العالي كعامل حيوي في عملية التنمية الاقتصادية، لأن أهميته يمكن أن تتجاوز في كثير من الأحيان مساهمة رأس المال المادي، لا سيما داخل معظم المناطق المتقدمة (Mathur, 1999 ; Romp & Haan, 2007).

أن هجرة العقول، قد تزيد من مستوى الدخل على المدى الطويل عنه في بلد المنشأ. لذلك، فإن هذا القرار (البقاء في الخارج / العودة) يمكن أن يتأثر بعدة عوامل، مثل الحوافز الاقتصادية الناتجة عن الاختلافات في الأجور (Lien, 1987). كما أنه يتسبب في خسارة البلدان والصناعات والمنظمات لجزء أساسي من الأفراد ذوي القيمة. فيتم فقدان الخبرة مع كل مهاجر، مما يقلل من المعروض من تلك المهنة، كما سيتضرر اقتصاد (الدولة) لأن كل محترف يمثل وحدات إنفاق فائضة. وغالبًا ما يحصل المحترفون على رواتب كبيرة، لذا فإن رحيلهم يقلل من إنفاق المستهلكين في تلك المنطقة أو البلد بشكل عام، (Young, 2021)

وبالرغم من خطورة ظاهرة هجرة الأدمغة على المجتمع الفلسطيني الذي عانى ومازال من التهجير القسري طيلة عقود طويلة إلاَّ أنه لا توجد بيانات دقيقة تحدد حجم الظاهرة والمخاطر المترتبة عليها خاصة في ظل الأوضاع الخاصة التي يعيشها الشعب الفلسطيني سواء في الأراضي الفلسطينية أو أراضي 1948 أو في المهجر.

2. مؤشرات الهجرة من فلسطين:

أخذت الهجرة الفلسطينية تتفاقم في السنوات الأخيرة سواء من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967م، وكذلك الفلسطينيين في أراضي 1948، أو من مخيمات اللجوء وبخاصة في لبنان. فحرمان اللاجئين الفلسطينيين في لبنان الكثير من الحقوق المدنية بما فيها الحق في مزاولة العمل يزيد معاناتهم ويدفعهم إلى الهجرة التي تشكل النسبة العظمى بين سكان المخيمات في دول الجوار العربي. ففي الأعوام 2000-2003 كانت معدلات الهجرة في أراضي 1967م عادية، ولكنها أخذت تتصاعد مع شدة الإجراءات والعقوبات الجماعية التي تفرضها إسرائيل على الضفة والقطاع حتى بلغ عدد المتقدمين بطلبات للهجرة أمام القنصليات والممثليات الأجنبية وبخاصة للولايات المتحدة وكندا واستراليا والبلدان الإسكندنافية العام 2006م نحو 50 ألف طلب هجرة قبل منها 10 آلاف طلب. والملاحظ هنا أن القنصليات والممثليات تعطي الأولوية في قبول طلبات الهجرة لحملة الشهادات الجامعية الأمر الذي يؤشر إلى استنزاف واضح للكفاءات، ويؤثر في دور هذه الكفاءات في النهوض بأوضاع المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال (عياش، 2016). كما تشير بيانات البنك الدولي أن عدد المهاجرين من أصل فلسطيني بلغ 2.7 مليون نسمة في العام 2010 (Campos, 2017).

وأشارت نتائج مسح الهجرة لعام 2010 والذي أجراه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني إلى حوالي 22 ألف فرد هاجروا للإقامة خارج الأراضي الفلسطينية خلال الفترة 2007-2009، علما أن هذا العدد لا يشمل الأسر التي هاجرت بالكامل والتي لا يتوفر أية إحصاءات حولها. كما أشارت نتائج المسح أن 6.7% من الأسر الفلسطينية لديها مهاجر واحد على الأقل هاجر للخارج. حيث تشير البيانات أن 3.4% من الأسر لديها مهاجر واحد فقط، و1.1% من الأسر الفلسطينية لديها مهاجرين اثنين للخارج، في حين بلغت نسبة الأسر التي لديها 5 مهاجرين فأكثر للخارج 1.2% من إجمالي الأسر في الأراضي الفلسطينية. وبحسب بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني لعام 2011، أظهرت نتائج توزيع المهاجرين حسب سنة الهجرة أن 51.2% من المهاجرين للخارج هاجروا قبل عام 2000، في حين هاجر 28.4% من المهاجرين ما بعد عام 2005. كما أظهرت النتائج أن 33% من المهاجرين هم ضمن الفئة العمرية المصنفة كشباب (15-

29) سنة، وجاءت الفئة العمرية (30-44) سنة في المرتبة الثانية بنسبة 25.6% من المهاجرين للخارج، ومن الملاحظ ان هناك تقارب في التركيب العمري للمهاجرين حسب الجنس، وترتفع نسبة المهاجرين للخارج من الذكور مقارنة بالمهاجرات الإناث فبلغت نسبة الجنس للمهاجرين للخارج بواقع 152.2 مهاجراً ذكر لكل 100 مهاجرة من الإناث. وعند دراسة المهاجرين للخارج حسب العلاقة برب الأسرة وفق نتائج هذا المسح أظهرت النتائج أن 36.5% من المهاجرين صنفوا كأبناء لرب الاسرة الفلسطينية، ونحو 23.7% صنفوا كزوجة ابن أو زوج ابنة لرب الأسرة، وعلى مستوى الجنس كان 43.1% من المهاجرين الذكور هم أبناء أرباب الأسر، في حين كانت هذه النسبة للإناث المهاجرات 26.1%. وحول الدول التي هاجر إليها الفلسطينيون، أشارت النتائج أن 23.5% من المهاجرين للخارج هاجروا إلى الأردن و20.4% هاجروا الى دول الخليج العربي، وما يقارب 21.6% منهم هاجروا إلى أمريكا بالإضافة لنسبة صغيرة أخرى في دول متعددة ومتفرقة، أنظر الشكل رقم (2).

شكل (2) التوزيع النسبي للمهاجرين للخارج حسب الدولة منذ عام 2000– عام 2010م.

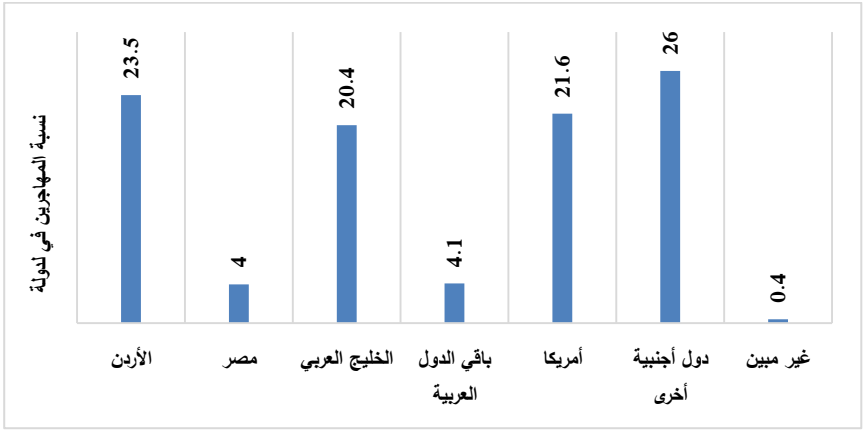

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011، ص60.

وحول أسباب الهجرة للخارج أشارت النتائج أن الدوافع الرئيسة للهجرة للخارج كانت التعليم والدراسة بواقع 34.4% من إجمالي المهاجرين للخارج، في حين كان الدافع الرئيس لنحو 14.6% من المهاجرين هو لتحسين مستوى المعيشة و13.7% من المهاجرين هاجروا للبحث عن عمل لعدم توفر فرص العمل في الأراضي الفلسطينية. وأشارت

النتائج أن أكثر من ثلث المهاجرين من حملة الشهادات العليا والجامعات، إذ بلغت نسبة المهاجرين للخارج وتحصيلهم العلمي بكالوريوس فأعلى نحو 35.7% من إجمالي المهاجرين للخارج، وبلغت نسبة المهاجرين من حملة الشهادة الثانوية العامة 35.7% من إجمالي المهاجرين للخارج. في حين لم تتجاوز نسبة المهاجرين للخارج ممن لا يحملون أي مؤهل علمي 1.3% من إجمالي المهاجرين للخارج، أنظر شكل رقم (3) (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011، ص31-32).

شكل (3) التوزيع النسبي للمهاجرين للخارج بحسب سبب الهجرة منذ عام 2000– عام 2010م.

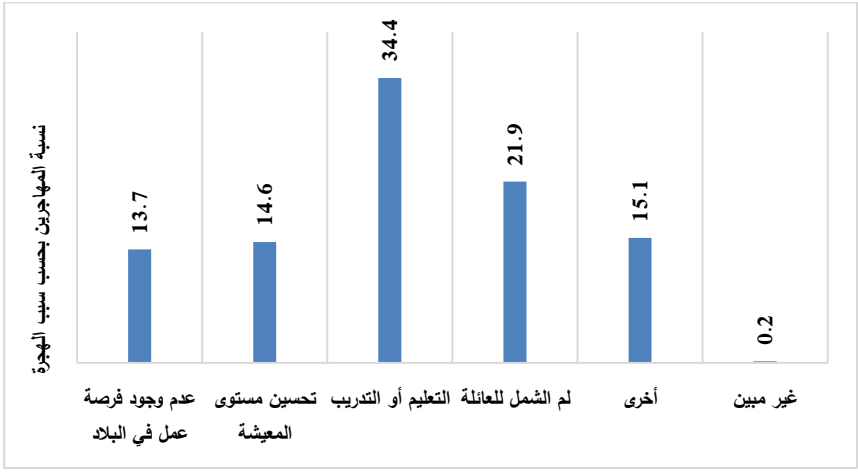

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011، 63.

ثالثاً: المناقشة والتحليل: أسباب ودوافع الهجرة من فلسطين

تُعَدُّ ظاهرة هجرة الأدمغة ظاهرة عالمية تؤدي إلى خسائر كثيرة للدول المصدرة "العقول مما يؤثر سلبًا على التطورات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية في جوانب متعددة، وهو ما ينعكس في الركود الاقتصادي والتعليمي بدلاً من النمو المخطط له، جنبًا إلى جنب مع الموارد المالية التي تم إنفاقها على "أدمغة المهاجرين" قبل هجرتهم، والتي يمكن الاستفادة منها في مجالات ومجالات أخرى خاصة في البلدان النامية التي تعاني من محدودية الموارد المالية (Amoun-Habashi, 2022). وقد أكدت معظم الدراسات على أن دوافع الهجرة تتلخص في عوامل الطرد في البلد الأصلي وعوامل الجذب في البلد المستقبل، وأن هذه العوامل تختلف درجة تأثيرها من منطقة إلى أخـرى ومن فترة زمنية إلى أخـرى (هاجر وعمر،

2018، ص43).

وفي فلسطين، تفاقمت طاهرة الهجرة منها بما في ذلك هجرة الأدمغة وذلك مع اندلا ع انتفاضة الأقصى عام 2006م شاملة شرائح مختلفة من المواطنين الفلسطينيين، الذين اضطر بعضهم للهجرة جراء الأوضاع الاقتصادية الصعبة، أو بسبب الانتهاكات الإسرائيلية لأبناء الشعب الفلسطيني، وكذلك عدم توفر فرص عمل لحملة الشهادات العليا (حماد، مقابلة شخصية، 23 يناير 2023). وتتفاوت الأسباب والدوافع التي تدفع بالفلسطينيين للهجرة إلى خارج وطنهم سواء الى دول عربية أو أجنبية، ويمكن أن نلخص أهم الأسباب والدوافع على النحو الآتي:

1. أسباب اقتصادية:

تُعَدُّ العوامل الاقتصادية من أهم العوامل التي تدفع بالفلسطينيين خاصة الكفاءات منهم للهجرة خارج فلسطين، فقد أشارت نتائج مسح القوى العاملة الفلسطينية 2021- التقرير السنوي إلى أن معدل البطالة من مجموع المشاركين في القوى العاملة بلغ 26.4% خلال عام 2021 في فلسطين، بواقع 22.4% بين الذكور مقابل 42.9% بين الإناث. وقد تركز أعلى معدل للبطالة بين الشباب في الفئة العمرية 15-24 سنة لكلا الجنسين حيث بلغت النسبة 41.7%، بواقع 37.2% للذكور و64.5% للإناث. أما على صعيد المنطقة، فقد أظهرت النتائج أن معدل البطالة في الضفة الغربية بلغ 15.5%، بواقع 12.4% بين الذكور مقابل 28.9% بين الإناث. وقد تركز معدل البطالة بين الشباب في الفئة العمرية 15-24 سنة لكلا الجنسين حيث بلغت 27.8%، بواقع 23.5% بين الذكور مقابل 51.4% بين الإناث في نفس الفئة العمرية. كما كان أعلى معدل للبطالة في محافظة بيت لحم بواقع 25.1%، يليها محافظة الخليل بواقع 19.0%، ثم محافظة جنين بواقع 18.6% وكان أدنى معدل للبطالة في محافظة القدس 4.4% (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2022، ص 32-33). وفي قطاع غزة بلغ معدل البطالة 46.9%، بواقع 41.9% بين الذكور مقابل 65.0% بين الإناث. كما بلغ أعلى معدل بطالة بين الشباب للفئة العمرية 15-24 سنة لكلا الجنسين حيث بلغت 68.9%، بواقع 65.0% بين الذكور مقابل 86.8% بين الإناث في نفس الفئة العمرية. وأشارت النتائج إلى أن أعلى معدل للبطالة في قطاع غزة كان في محافظة دير البلح 52.9%، يليها محافظة

خانيونس 50.5%، ثم محافظة رفح 49.6% وكان أدنى معدل للبطالة في محافظة شمال غزة 38.1%، أنظر شكل رقم (4).

شكل (4) توزيع البطالة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

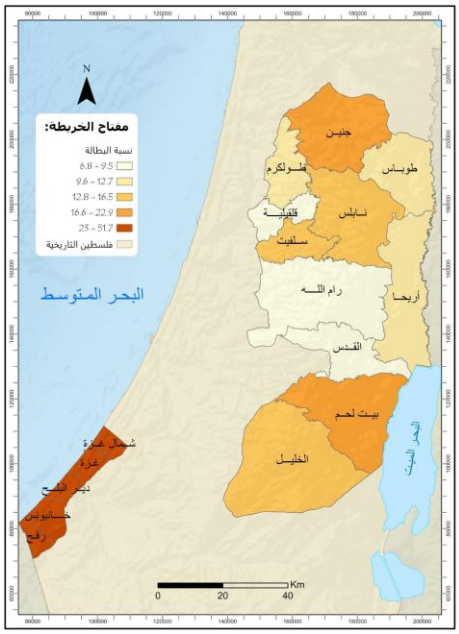

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2022. مسح القوى العاملة الفلسطينية: التقرير السنوي: 2021، رام الله، فلسطين، ص 33. بتصرف الباحثون.

شكل (5) معدل البطالة من بين المشاركين في القوى العاملة 15 سنة فأكثر حسب المحافظة والجنس، 2021

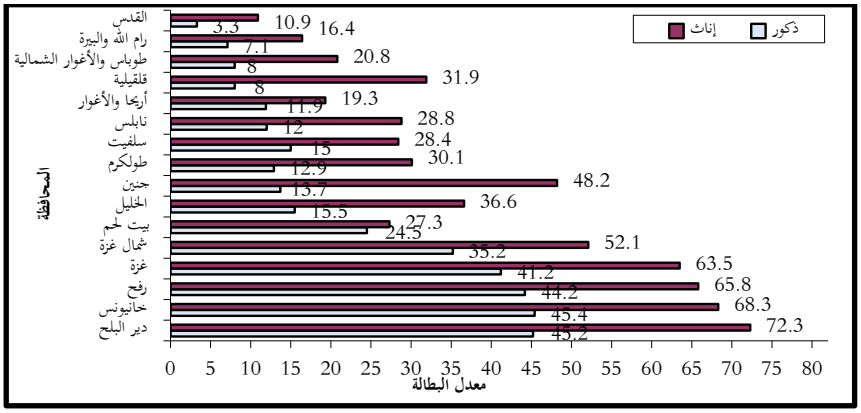

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2022. مسح القوى العاملة الفلسطينية: التقرير السنوي: 2021، رام الله، فلسطين، ص 33.

وحسب التوزيع النسبي للعاطلين عن العمل لعام 2021، فقد بينت النتائج بأن 0.2% من بين الذكور العاطلين عن العمل لم يحصلوا على أي تعليم في حين بلغت النسبة 0.1% للإناث. كما أن 8.9% من بين الذكور العاطلين عن العمل قد أتموا 1-6 سنوات دراسية مقابل 0.3% للإناث العاطلات عن العمل. بالإضافة إلى ذلك أشارت نتائج المسح بأن 21.2% من الذكور العاطلين عن العمل قد أتموا 7-9 سنوات دراسية مقابل 1.3% للإناث العاطلات عن العمل الحاصلات على نفس سنوات الدراسة. كما أن 29.1% من الذكور العاطلين عن العمل قد أتموا 13 سنة دراسية فأكثر مقابل 93.3% للإناث الحاصلات على نفس سنوات الدراسة. (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2022، ص 33-34).

شكل (6) التوزيع النسبي للعاطلين عن العمل 15 سنة فأكثر من بين المشاركين في القوى العاملة حسب عدد السنوات الدراسية والجنس 2021

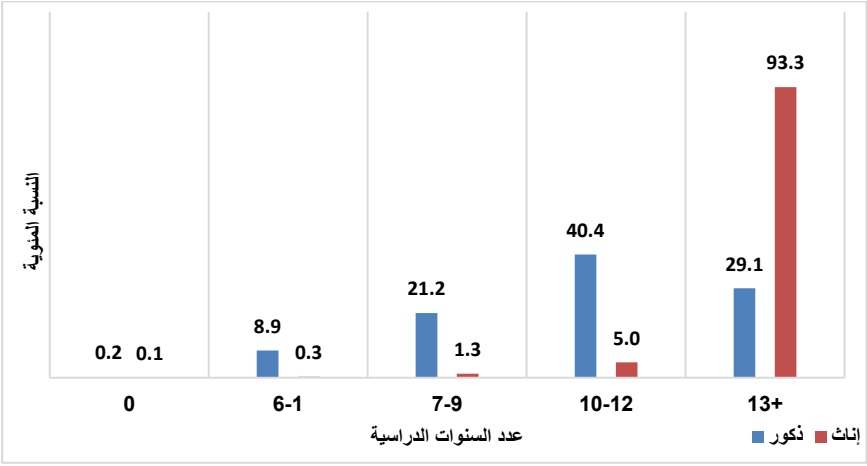

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2022. مسح القوى العاملة الفلسطينية: التقرير السنوي: 2021، رام الله، فلسطين، ص 34.

2. الاحتلال الإسرائيلي:

ممَّا لا شك فيه أن الاحتلال الاسرائيلي سبب رئيس لتفاقم تلك ظاهرة الهجرة بما يمارسه من اعتداءات مباشرة على الشعب الفلسطيني، أو اعتداء غير مباشر كالحصار الذي يعد أكثر بشاعة سواء في دوافعه وأسبابه السياسية والاقتصادية المباشرة أو في دوافعه السياسية البعيدة المدي وفق المخطط الإسرائيلي (أبو جاموس، 2018). وكانت دراسة

حديثة كشفت أن 59.2% من الكفاءات في الداخل من عينة الدراسة قد صرحوا بتعرضهم أو أحد أفراد أسرتهم لمضايقات من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي. وتمثلت أهم المضايقات في الاعتقال بنسبة 24.6% يليها الضرر الجسدي بنسبة 23.8% فيما تعرض 15.6% منهم لهدم منازلهم و13% لتجريف أراضيهم، وأوضح 7.4% تعرضهم لمضايقات أخرى تمثلت في المنع من السفر أو صعوبة السفر عبر المعابر بسبب الإغلاق المستمر لها، أو استشهاد أحد أقاربهم من جراء الاعتداء الصهيوني على الشعب الفلسطيني، بالإضافة إلى الضغط النفسي من جراء الحصار المستمر والوضع الاقتصادي الخانق (فوجو، 2012، ص 160).

شكل (7) التوزيع النسبي للعينة المدروسة من حيث مضايقات الاحتلال الإسرائيلي 2012م.

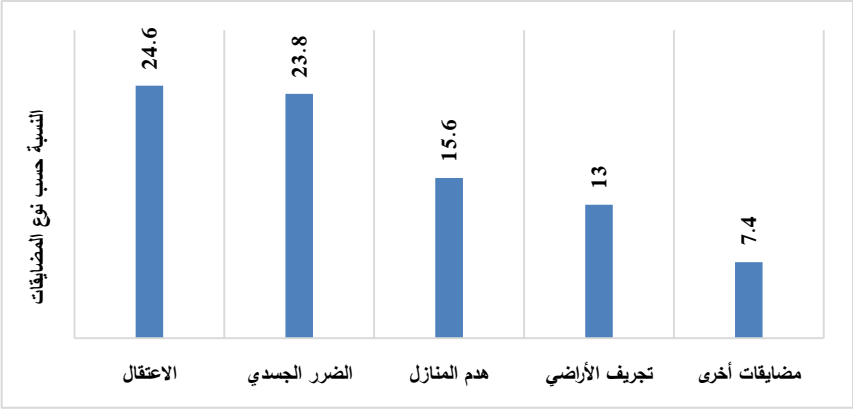

المصدر: فوجو 2012، ص160.

وكشفت مصادر إسرائيلية في تشرين الثاني/نوفمبر 2013 أن حكومة الاحتلال خصصت نحو مليار دولار لاستخدامها في تشجيع الفلسطينيين على الهجرة من الضفة الغربية المحتلة، استغلالا لأوضاع الفلسطينيين الاقتصادية، ورغبة بعضهم في الهرب من الإذلال والقهر الذي يعيشونه يومياً جراء ممارسات الاحتلال والتنكيل بهم على الحواجز العسكرية وتقييد حركتهم (عياش، 2016). ويحمّل الكاتب والحقوقي الفلسطيني مصطفى إبراهيم إسرائيل المسؤولية الكاملة عن الأوضاع "البائسة بغزة التي تسببت بتدهور كل مجالات الحياة ودفعت الشبان إلى الهجرة من قطاع غزة إلى الخارج على اعتبار أن الخروج من القطاع ليس بالأمر السهل حتى على العقول بسبب إجراءات الاحتلال والمعابر المصرية بتحديد

أوقات وعدد المغادرين وإغلاق المعابر لأشهر في بعض الأوقات (TRT عربي، 2021).

3. الانقسام الفلسطيني الداخلي:

يُعَدُّ الانقسام السياسي وما ترتب على ذلك من مناكفات سياسية في قطاع غزة والضفة الغربية من الأسباب الرئيسة التي فاقمت ظاهرة هجرة الكفاءات والشباب الفلسطيني .كما أن ازدياد حدة الخلافات وما ترتب عليه من زيادة حدة الصراع أسهم في انعدام الأمن الشخصي، حيث أصبح المواطن الفلسطيني يعيش حالة من التوتر جراء ذلك، والذي يتمثل في أشكال كثيرة من الاعتداءات أو العقوبات بسبب الانقسام؛ مما دفع كثير من الفلسطينيين للهجرة أو التفكير بالهجرة خاصة من الكوادر والكفاءات مما يشكل استنزافاً للمجتمع الفلسطيني (القيسي، مقابلة شخصية).

ويزيد الانقسام الفلسطيني من عمق أزمة الهجرة لدى الطامحين في الحصول على وظيفة، التي أصبحت تبنى في كثير من المؤسسات الحكومية والخاصة على الانتماء الحزبي، ما دفع شريحة واسعة من حملة الشهادات للخوف على مستقبلهم في حال المصالحة، وفي ظل الحديث عن إيقافهم عن العمل، أو دفعهم للتقاعد وهم في قمة العطاء، ما يدفع الكثير منهم للبحث عن مستقبل أفضل خارج قطاع غزة (عيد، 2019). ولا شك أن الانقسام السياسي الداخلي وما ترتب عليه من أوضاع اقتصادية صعبة كان سبباً رئيساً من أسباب الهجرة من قطاع غزة على وجه الخصوص. ويشير الخبير الاقتصادي ماهر الطباع إلى الندرة الشديدة في الوظائف التي يوفرها القطاع العام (الحكومة) نظراً إلى الانقسام السياسي الفلسطيني بين غزة والضفة (TRT موقع إلكتروني، 2021). ورغم أنه لا تتوفر إحصائيات رسمية حول ظاهرة هجرة أهالي غزة إلى الخارج، فإن مصدرا في مكتب نقابة المحامين بغزة أشار إلى أن النقابة تستقبل يوميًا مئات الطلبات للحصول على جوازات السفر، تمهيدا للتسجيل الإلكتروني في مكاتب وزارة الداخلية لحجز بطاقة السفر للخروج من معبر رفح. وخلال الأشهر الثمانية الأخيرة التي بدأ معبر رفح يعمل فيها بشكل منتظم خلال العام 2018، تم رصد زيادة عدد الغزيين الذين غادروا القطاع ولم يعودوا إليه، حيث خرج 36 ألف فلسطينيًا من معبر رفح، ولكن حتى اليوم لم يعد سوى 17 ألفا منهم، أي أن واحدا من كل اثنين خرجوا من القطاع قرروا الهجرة إلى الخارج (أبو عامر، 2019). كما سجل العام (2018) خروج العشرات بل المئات من الأطباء والمهندسين والكفاءات

العلمية، وكان بعضهم ضحية مناكفات سياسية وعدم الشعور بالأمن الوظيفي الذي انتزع من كل القطاعات الفلسطينية العاملة، كما أن الحصار الخانق الذي نعانيه كان من أهم الأسباب في ذلك (عيد، 2019). فجميع المؤشرات تشير إلى ارتفاع معدّلات الهجرة من قطاع غزة، وهناك مؤشرات تؤكد أنها تسير في اتجاهات تصاعدية [1]، وهناك حالة من التجاهل أو عدم الاهتمام الجدي، بهذه الظاهرة من قبل المسؤولين الفلسطينيين، لا سيما في السنوات الأخيرة، بخاصة بعد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عام 2014، حيث غرق في بحر الإسكندرية عشرات الفلسطينيين، وهناك عدد غير معروف منهم لم يتم العثور على جثثهم (إبراهيم، 2019).

4. حالة البحث العلمي في فلسطين:

تشير دراسة حديثة إلى أنَّ من أهم أسباب نزيف العقول العربية في العصر الحالي عدم تقدير هذه العقول في أوطانهم، والرواتب الضئيلة التي يتقاضونها نظير جهودهم، وعدم الاهتمام بالبحث العلمي في الوطن العربي، وتوزيع هذه العقول في تخصصات لا تتوافق مع قدراتهم مع الاعتماد الشديد على الخبرات الأجنبية من الخارج وتفضيلها على الخبرات الوطنية (Ghanaiem and Abdul Shafy, 2021.p2). ويعد ضعف الإنفاق على البحث العلمي من الأسباب الرئيسة للهجرة، ونعلم أي ضعف في الإمكانات المرصودة له من جانب الدولة ينعكس على حالة العاملين والباحثين لمراكز البحوث والجامعات وعلى نتائج أعمالهم. وهذا ما يشير إليه تقرير اليونسكو لعام 2006، أنه لم تنتج الدولة العربية إلاَّ 0.1% من العدد الإجمالي لبراءات الاختراع المسجلة في المكتب الأمريكي لبراءات الاختراع والعلامات التجارية في المكتبين الأوروبي والياباني (قاسي، 2017، ص 15).

ولو نظرنا إلى واقع البحث العلمي في فلسطين سنلاحظ حالة من الضمور في هيكله البنيوي على مختلف الأصعدة، بفعل تجاهله في المؤسسات التعليمية، وعدم توظيفه

(1) قبل أشهر نشرت هيئة البث الإسرائيلية الرسمية باللغة العبرية "كان"، تقريراً تلفزيونياً لمراسلها للشؤون الفلسطينية، حول الشباب الفلسطينيين الذين هاجروا من قطاع غزة، والذين تجاوز عددهم وفقاً للتقديرات الإسرائيلية الـ 40 ألفاً، حتى منتصف عام 2018، و20 ألفاً وفق تقديرات الأمم المتحدة. ولا يوجد أي إحصاء فلسطيني حول أعداد المهاجرين، وهم من الجنسين ومن أعمار مختلفة، علماً أن هناك عائلات غادرت قطاع غزة للهجرة إلى الدول الأوروبية. لمزيد من المعلومات أنظر: إبراهيم، مصطفى (2019)، الهجرة من غزة هروب إلى الموت، تقرير منشور على موقع Daraj الإلكتروني بتاريخ 10 مايو 2019، أنظر: https://daraj.com/17477/.

في مواطن صنع القرار، والسياسات المجتمعية. خاصة وأن نظام التعيين الوظيفي في فلسطين لا يسعى إلى استقطاب الكفاءات بقدر اعتمادها على المعارف و"الواسطة"، إضافة إلى نظام التسييس "إضفاء الطابع السياسي" داخل المؤسسات المختلفة، ومن هنا المنطلق فإن العقول البشرية التي تطمح لتطوير نفسها لا تجد محيطاً مناسباً ومريحاً لرغباتها، لذلك يطمح الكثير من الشباب الفلسطينيين للهجرة (الحدث، موقع إلكتروني، 2019).

ويعد انعدام توازن النظام التعليمي، وفقدان الارتباط بين أنظمة التعليم ومشاريع التنمية والبحوث العلمية من الأسباب المهمة التي تدفع بالكفاءات الفلسطينية خاصة الأكاديمية للهجرة. كما يعاني الفلسطينيون من انعدام وجود بعض الاختصاص التي تناسب طموحاتهم كعلماء الذرة والفضاء والعلوم البيولوجية، بالإضافة إلى عدم الثقة بأصحاب الاختراعات والأفكار غير التقليدية، وتخلف النظم التربوية والبطالة العلمية، وعدم وجود المناخ الملائم للبحث العلمي والعجز عن إيجاد عمل يناسب اختصاصاتهم العلمية (خليل، 2006).

5. الأسباب الأكاديمية:

وتتمثل في رغبة الشباب في الهجرة للخارج لطلب العلم وللدراسة في الجامعات. فنصف المهاجرين هاجروا لطلب العلم وعملوا في البلدان التي درسوا فيها ولم يعودوا للوطن بعد انتهاء دراستهم. كما أن غياب سياسة وطنية واضحة محددة للتعليم العالي في فلسطين فضلاً عن فقدان رؤية موحدة حول دورها في عملية التنمية والذي ينعكس على طبيعة البرامج الأكاديمية التي تطرحها هذه الجامعات ونوعية أدائها. ولا شك أن عدم توفر بعض التخصصات في الجامعات والمعاهد المحلية رغم وجود تخصصات مكررة في العديد منها، وارتفاع متطلبات بعض هذه التخصصات يدفع الطلبة للبحث عنها في الخارج (حجازي، 2014). وتتحدث الأرقام بأن أكثر من 54% من خريجي الجامعات الغربية من الطلبة العرب لم يعودوا إلى بلادهم رغم انتهاء تحصيلهم العلمي في الدول الغربية (عمار وأحمد، 2020، ص 18).

6. الأسباب الاجتماعية:

تتمثل في الشعور بالانتماء أكثر نحو الوطن الجديد من قبل المهاجرين حيث يتبين أن المهاجر بعد قضاء سنوات الدراسة الطويلة بالخارج خاصة لطلاب الدكتوراه وبعد تكيفه الجديد مع المجتمع وتشرب ثقافته يصبح أكثر ارتباطاً بالدولة المستقبلة له، ويكون مرتبطاً

ارتباطاً وثيقاً بقيمها، وعاداتها، وتقاليدها، ونظم حياتها وهذا ليس في صالح الشباب الفلسطيني لذا عندما يقرر الشباب العودة للبلد الأم لا يستطيعون اتخاذ القرار بذلك فيكتفون بزيارة الأهل في وطنهم والعودة للبلد التي تم الهجرة إليها لعدم التوافق والتكيف بعد فترة غياب طويلة. كما أن الكثير من الذين تغربوا (العائدين) يفتقدون إلى تقدير ذواتهم عند العودة لوطنهم، فضلاً عن ضعف وانعدام تقبل التغير بالوطن فأعداد كبيرة من أبناء الدول النامية الذين يتلقون تعليمهم بالخارج ويعودوا ليجدوا مجتمعاتهم لا تستطيع أن تتوافق بسرعة مع ما يجري في مجتمعات العالم المتقدم تكنولوجياً فيفضلون البقاء حيث هم. والغالبية ممن هاجروا كونوا أسراً وأنجبوا أطفالاً ويصعب عليهم الرجوع للوطن وقطع تعليم أولادهم إذا لا يوجد عند الآباء المهاجرين ضماناً لمستقبل أبنائهم ووظائفهم في البلاد الأم (حجازي، 2014).

7. أسباب نفسية:

تبدأ فكرة الهجرة لدى خريجي الثانوية العامة، وخاصة الأوائل منهم الذين يعتبرون التعليم سبيلاً للخروج، وإنهم مع إبداعهم في دول الغرب يفضلون البقاء هناك على العودة التي ينعدم فيها الأمل لأسباب عدة، ثم تستمر الفكرة لدى خريجي الجامعات الذين يكملون الدراسات العليا ويواصلون رحلة الهجرة بعد التخرج، لكن اللافت هو ازدياد الهجرة في أوساط الأطباء والمهندسين والكفاءات العلمية (عيد، 2019). وينظر المواطن الفلسطيني إلى العالم المتقدم ويرى التطور التكنولوجيّ والمعماريّ، ويقارن بين بلاده وبلاد الغرب، ممّا يؤدي إلى وقوعه في حالة نفسية تجعله يرى أن في الخارج جنة، كما أن للاحتلال الصهيوني دوراً في كبت المواطن الفلسطيني من قمع لحرية التنقل وانتشار الحواجز أمام الفلسطينيين وانعدام الأمان، كل ذلك يسبب أثراً نفسي كبيراً على المواطن الفلسطيني ممّا يجعله يفكر بالهجرة إلى الخارج (التميمي، 2016).

8. أسباب عملية:

تتمثل في عدم وضع الكفاءات في مكانها الوظيفي المناسب، فتجد مثلاً شخصًا يحمل الدكتوراه ومديره يحمل بكالوريوس أو أقل، وهذا موجود حتى اللحظة في كل الوزارات ومؤسسات السلطة الفلسطينية في جميع المحافظات في الضفة الغربية وقطاع غزة، وكذلك عدم التمييز بين مختلف التخصصات، وعدم وجود مجال عمل لذاك الخريج فإما أن يهاجر

لبلد أخر أو يعمل بعيدًا عن تخصصه.

9. عوامل الجذب:

يشكل النظام الاجتماعي للدول المتقدمة وبما يحتويه من أنساق مختلفة جذباً للكفاءات العلمية من البلدان النامية، فاجتذاب الكفاءات العلمية بمختلف اختصاصاتها يستند إلى مبدأ مهم وأساسي متمثل بحرية التعبير والتفكير والتنفيذ، إضافة إلى اعتماده على ما يقدم من امتيازات كتأمين مستوى معاشي جيد ولائق وضمانات اجتماعية وخدمية واسعة، وحاجات إنسانية مشبعة، إضافة لحرية اجتماعية محفزة (الكواكبي، 2010، ص 10). وتواجه الكفاءات العربية إغراءات اقتصادية جاذبة من قبل دول المهجر، فتتميز الدول المتقدمة بإيجاد فرص أكبر للكفاءات، لتحقيق دورها الوظيفي الذي يشبع طموحاتها، بالإضافة لفرص الاستثمار التي تدر عليهم بعوائد كبيرة، كما يشكل التقدم العلمي المعيار الأساسي للتوظيف والقائم على الجدارة، وارتفاع مستويات الأجور في الخارج من العوامل الاقتصادية الجاذبة لهجرة الكفاءات، ويركز الاقتصاد العالمي حالياً على عنصر المنافسة على الكفاءات البشرية قبل المنافسة على البضائع والخدمات، ممَّا يعني اتجاه الدول المتقدمة مع زيادة تأثيرات العولمة إلى استقطاب الأجيال الأصغر سنًا الذين ينتمون إلى شرائح اجتماعية معينة ممن تمكنوا من الحصول على تعليم متميز وتأهيل عالي، وبالتالي يمكنهم من اكتساب مهارات أكثر تقدماً في بلدانهم المتقدمة (العتيبي، 2018، ص 95).

رابعاً: هجرة الكفاءات وأثره على الأوضاع في فلسطين:

للهجرة صورتين رئيسيتين: المباشرة التي يتخذ فيها الأفراد قراراً بالهجرة تاركاً بلده، وهجرة الطلاب من البعثات بعد إنهائهم لدراساتهم بقرار عدم العودة لبلادهم. وفي الحالتين لا بد من أن هناك خسارة فادحة لبلد الأصل والنشأة، متمثلة في التكلفة التاريخية التي تكبدها المجتمع، في تربية وتعليم الأفراد الذين يهاجرون بلادهم لغيرها من البلاد، ضاربين بعرض الحائط كل ما استحقوه أو أخذوه من خيرات تلك البلاد (العيسي، 2021). وتعتبر هجرة الكفاءات ذات تأثير كبير سواء بشكل إيجابي أو سلبي على الأوضاع في فلسطين، ومن أمثلة ذلك:

1- يؤدي هجرة الكفاءات خاصة من الشباب الى تقليل نسبة وجودها في فلسطين ممَّا قد يكون له انعكاسات سلبية خطيرة على عناصر العملية الإنتاجية خاصة وأنه من المعروف

أن الطاقات الشابة هم العنصر الرئيس في عملية الإنتاج وفي سوق العمل.

2- يترتب على استمرار نزيف الأدمغة انخفاض في الكفاءات العلمية في البلاد ما يؤدي إلى انخفاض في الرصيد العلمي والمعرفي، مما قد يؤثر في العملية التعليمية في البلاد خاصة في مسارات التعليم العالي مما قد يترتب عليه في المستقبل في ظل استمرار نزيف الأدمغة الى الاستعانة بكوادر من الخارج مما يزيد من الأعباء الملقاة على عاتق السلطة الوطنية والجهات ذات العلاقة.

3- تصب هجرة الأدمغة والكفاءات في خدمة ومصلحة الاحتلال الصهيوني، وتفريغ الأراضي الفلسطينية من السكان والكفاءات، وبالتالي اضعاف الوضع الفلسطيني الداخلي اقتصاديا وسياسيا ايضاً (القاسم، 2008).

4- قد تكون فكرة الهجرة في حد ذاتها عاملا إيجابيا في اكتساب الفرد لمهارات جديدة والتعرف على ثقافات أخرى (أبو عامر، 2019).

5- تسهم هجرة الأدمغة في انخفاض نسبة البطالة في ظل التحويلات المالية بالعملة الصعبة للمهاجرين إلى ذويهم في فلسطين، وتحسين ميزان المدفوعات.

6- يسهم المهاجرون سواء أثناء وجودهم في الخارج او بعد عودة بعضهم إلى أرض الوطن في عملية التنمية المجتمعية، وذلك من خلال الاستفادة من الخبرات والمهارات التي اكتسبوها أثناء وجودهم في المهجر.

خامساً: الخاتمة

إنَّ هجرة الأدمغة خاصة الشباب خارج وطنهم تعتبر من الظواهر المجتمعية المركبة والمتعددة الأبعاد فهي ليست ناتجة عن عوامل محلية وإقليمية فحسب بل هي ناتجة عن أبعاد عالمية، حيث لعبت العولمة دوراً رئيساً في تعزيزيها، فهي قادرة على اختراق الحدود الوطنية يساعد في ذلك ثورة الاتصالات، ووسائل الإعلام من حيث قوة تأثيرها على سلوكيات، ومفاهيم الأفراد خاصة فئة الشباب وهم الأكثر حساسية إزاء المجتمع. فهجرة الشباب مسؤولية الدولة وعليها الاهتمام بهم؛ لأنهم يعتبرون المحرك الرئيس للتنمية ومؤسساتها التي من واجبها العمل على تطوير البيئة الملائمة لهم للحد من هجرتهم لخارج الوطن (حجازي، 2014). وبناءً على ما تم التطرق إليه أمكن التوصل إلى العديد من النتائج، من أهمها:

1- ترتبط الهجرة في الذاكرة الفلسطينية بالنكبة والنزوح والمآسي المتلاحقة التي تعرض لها

الشعب الفلسطيني.

2- هاجر حوالي 22 ألف فرداً للإقامة خارج الأراضي الفلسطينية خلال الفترة 2007-2009، علمًا أن هذا العدد لا يشمل الأسر التي هاجرت بالكامل.

3- أظهرت الدراسة أنَّ 33.0% من المهاجرين هم ضمن الفئة العمرية المصنفة كشباب (15-29) سنة، وجاءت الفئة العمرية (30-44) سنة في المرتبة الثانية بنسبة 25.6% من المهاجرين للخارج.

4- هاجر أكثر من خمس المهاجرين الفلسطينيين (21.6%) إلى أمريكا.

5- أوضحت الدراسة أن الأسباب أو الدوافع الرئيسة للهجرة للخارج كانت التعليم والدراسة بواقع 34.4% من إجمالي المهاجرين للخارج.

6- بلغ معدل البطالة من مجموع المشاركين في القوى العاملة بلغ 25.9% خلال عام 2020 في فلسطين، بواقع 22.5% بين الذكور مقابل 40.1% بين الإناث.

7- يُعَدُّ الانقسام المقيت والمناكفات السياسية الحاصلة بين غزة والضفة سبباً رئيساً في تفاقم ظاهرة هجرة الكفاءات والشباب الفلسطيني.

التوصيات:

بناءً على النتائج السابقة توصلت الدراسة إلى العديد من التوصيات، من أهمها:

1- الدعوة لوضع استراتيجية شاملة للتنمية البشرية في فلسطين لتوفير بيئة مناسبة وحاضنة للكفاءات الفلسطينية؛ لضمان الاستثمار الصحيح للكفاءات والكوادر الفلسطينية.

2- تسوية الخلافات السياسية وإنهاء الانقسام السياسي، وعدم الزج بالشباب في أتون الخلافات الحزبية والفصائلية.

3- العمل على بناء قاعدة بيانات حول الكوادر والكفاءات الفلسطينية المهاجرة، وبناء شبكات من جسور التواصل معها، والعمل على تشجيعها للعودة للوطن للاستفادة من خبراتها في عملية البناء الوطني والارتقاء بالمجتمع الفلسطيني.

4- توفير فرص عمل للكوادر الفلسطينية خاصة من الشباب، وذلك من خلال استيعابهم في مشاريع تؤمن لهم الحد الأدنى من الحياة الكريمة.

5- تبني السلطة الوطنية بمؤسساتها المختلفة سياسات عامة لتنظيم عملية الهجرة وذلك عبر عقد اتفاقيات دولية تنظم هذه العملية بما يعود بالفائدة على الشعب الفلسطيني.

المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع العربية:

- الأسرج، حسين عبد المطلب (2016)، هجرة الكفاءات العربية:
https://ssrn.com/abstract=2846685

- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2011). مسح الهجرة في الأراضي الفلسطينية، 2010. التقرير الرئيس، رام الله – فلسطين.
http://www.pcbs.gov.ps/Downloads/book1734.pdf

- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2022). مسح القوى العاملة الفلسطينية: التقرير السنوي: 2021. رام الله – فلسطين.

- العتيبي، تغريد (2018). ظاهرة هجرة الأدمغة العربية: أسبابها وانعكاساتها والحلول المقترحة، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 6، أكتوبر، المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين.

- عمار، دروازي، وأحمد لعروسي، (2020). هجرة الأدمغة العربية الأسباب والحلول، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 12، عدد 4، أكتوبر، السنة الثانية عشر.

- فاطمة، نزعي، وهاشمي الطيب (2014). ظاهرة الهجرة الريفية وأسباب انتشارها واثارها، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية- دراسات اقتصادية، العدد 29، مجلد 2، جامعة زيان عاشور بالجافة، الجزائر.

- فوجو، ميسون زكي (2012). استراتيجيات التنمية البشرية ودورها في الحد من ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية في فلسطين (دراسة حالة قطاع غزة)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية –غزة– فلسطين.

- قاسي، محمد الهادي (2017). البحث العلمي وإشكالية هجرة الأدمغة والكفاءات في العالم العربي قراءة سوسيولوجية تحليلية حول الأسباب والتداعيات، معارف العدد 22، دجوان 2017، السنة الثانية عشر.

- الكواكبي، سلام (2010). هجرة العقول والكفاءات في المشرق العربي، ورشة عمل حول الهجرة الدولية والتمية في منطقة الإسكوا: إدماج الهجرة الدولية في استراتيجيات التنمية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أسيا "الإسكوا"، المجلس الاقتصادي والاجتماعي،

19-22 تموز/يوليو، الأمم المتحدة، بيروت.

- هاجر، عيدود وعسعوس عمر (2018). آليات مواجهة هجرة الأدمغة الجزائرية في ظل العولمة، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد الحادي عشر، جامعة الجلفة، الجزائر.

مصادر إلكترونية:

- أبو جاموس، رضوان (2018). هجرة العقول الفلسطينية: الأسباب والتداعيات، مقال منشور على موقع وكالة معاً الإخباري بتاريخ 27-6-2018، أنظر:
https://www.maannews.net/articles/953352.html

- أبو عامر، خالد (2019). هجرة الشباب من غزة لأوروبا.. ظاهرة حقيقية أم تضخيم إعلامي؟، تقرير منشور على موقع عربي 21 بتاريخ 20 يناير 2019، أنظر:
https://arabi21.com/story/1153388/

- إبراهيم، مصطفى (2019). الهجرة من غزة هروب إلى الموت، تقرير منشور على موقع Daraj الإلكتروني، أنظر:
/https://daraj.com/17477

- بدوان، علي (2011). الظاهرة المقلقة في فلسطين، مقال منشور على موقع الجزيرة الإلكتروني بتاريخ 15-1-2011، أنظر:
https://www.aljazeera.net/opinions/2011/1/15/

- التميمي، عمر شاور (2016). أسباب هجرة العقول الفلسطينية، مقال منشور على شبكة نوى الإخبارية، أنظر:
https://www.nawa.ps/ar/post/31; 880

- حجازي، غادة (2014). هجرة الشباب الفلسطيني إلى الخارج (الأسباب.. المخاطر.. الحلول)، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة العمل والتخطيط الفلسطيني، أنظر:
http://ppc-plo.ps/ar/print.php?id=50

- خليل، حاتم (2006). هجرة العقول الفلسطينية للخارج، مقال منشور على موقع دنيا الرأي الإلكتروني بتاريخ 23-11-2006، أنظر:
https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006/11/23/64154.html

- سبيتي، فيديل (2022). نصف لاجئي العالم داخل المنطقة العربية ومنها، تحقيق صحافي منشور على الموقع الإلكتروني INDEPENDENT عربية بتاريخ 23 مارس 2022،

أنظر: https://www.independentarabia.com/node/313671/

– عياش، عدنان حسين (2016). هجرة الشباب والأدمغة الفلسطينية إلى الخارج، مركز دراسات الوحدة العربية، أنظر:

https://caus.org.lb/ar/

– عيد، خالد سمير (2019). نزيف العقول.. يعززها الحصار وتغذيها أحلام وردية، تقرير منشور على موقع جامعة القدس المفتوحة بتاريخ 17-2-2019، أنظر:

https://www.qou.edu/ar/viewCmsContentDtl.do?contentId=61328

– العيسى، إيناس عباس (2021). هجرة الكفاءات من الوطن العربي، مقال منشور على الموقع الإلكتروني تعليم جديد بتاريخ 11-2-2021، أنظر:

https://www.new-educ.com/

– القاسم، أحمد محمود (2008). هجرة الأدمغة الفلسطينية الاسباب والحلول، الحوار المتمدن، العدد 2473، المحور: القضية الفلسطينية، أنظر:

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=154127

– الحدث (2019). لماذا تهاجر العقول الفلسطينية؟ تقرير منشور على موقع الحدث الإلكتروني بتاريخ 27-6-2019، أنظر:

https://www.alhadath.ps/article/100954/

– موقع TRT عربي، البحث عن حياة أفضل يدفع شباب غزة إلى رحلات الموت. ما القصة؟، تقرير منشور على بتاريخ 8 نوفمبر 2021، أنظر:

https://www.trtarabi.com/explainers

المقابلات:

– حماد، صلاح الدين إبراهيم، أستاذ فلسفة التربية في جامعة الأقصى والجامعة الإسلامية في النيجر، مقابلة شخصية بتاريخ 23 يناير 2023، غزة، فلسطين.

– القيسي، نسرين حسن، باحثة وصحافية، مقابلة شخصية بتاريخ 25 يناير 2023، غزة، فلسطين.

الدراسات الأجنبية:

- Amoun-Habashi, M. (2022). The causes of the Israeli Brain Drain. Academy of Public Administration. Moldova. See: https://mcd.org.il/site/wp-content/uploads/2022/03/FINAL-Article-2-Habashi-Manal-The-causes-of-the-Israeli-brain-drain.pdf

- Bekele, A., Chu, K., D'Ambruoso, L., Davies, J. I., Ferriolli, E., Greig, C.,... & Siddiqi, S. (2022). Global health research funding applications: brain drain under another name?. The Lancet Global Health, 10(1), e22-e23.
- Biglari, S., Mayo, L., Beynaghi, A., Maknoon, R., Moztarzadeh, F., & Mozafari, M. (2022). Rethinking the brain drain: A framework to analyze the future behavior of complex socio-economic systems. Futures, 135, 102835.
- Campos, Rodolfo (2017). International migration pressures in the long run. Madrid, Spain.
- Docquier, F. (2014). The brain drain from developing countries. IZA World of Labor 2014: 31 doi: 10.15185/izawol.31
- Ghanaiem, M. M. (2021). Human Brain Drain & its Impact on Educational Investment (Case Study of Egypt) Dr. Mehany MI Ghanaiem Dr. Hend Kamal I. Abdul Shafy Prof. Educational Planning &Education Instructor of English Language Doctor of Philosophy of Education Economics
- Giannoccolo, P. (2006). The Brain Drain: A Survey of the Literature. Università degli Studi di Milano-Bicocca, Department of Statistics, Working Paper No. 2006-03-02
- Ipinnimo, T. M., Ajidahun, E. O., & Adedipe, A. O. (2023). Medical Brain Drain in Nigeria: A Health System Leadership Crisis. Ibom Medical Journal, 16(1), 94-97.
- Kerr, S. P., Kerr, W., Özden, Ç., & Parsons, C. (2017). High-skilled migration and agglomeration. Annual Review of Economics, 9, 201-234.
- Khuc, Q. V., Nguyen, M. H., Le, T. T., Nguyen, T. L., Nguyen, T., Lich, H. K., & Vuong, Q. H. (2022). Brain Drain out of the Blue: Pollution-Induced Migration in Vietnam. International Journal of Environmental Research and Public Health, 19(6), 3645.
- Köser-Akçapar, Ş. (2006). Do Brains really going down the Drain? Highly skilled Turkish Migrants in the USA and the «Brain Drain» Debate in Turkey. Revue européenne des migrations internationales, 22(3), 79–107
- Latukha, M., Shagalkina, M., Mitskevich, E., & Strogetskaya, E. (2022). From brain drain to brain gain: the agenda for talent

management in overcoming talent migration from emerging markets. The International Journal of Human Resource Management, 33(11), 2226-2255

- Mathur VK. (1999). Human capital-based strategy for regional economic development. Economic Development Quarterly 13: 203–16
- OFFIONG, B. E., Salibi, G., & Tzenios, N. (2023). Medical Brain Drain Scourge In Africa: Focusing on Nigeria.
- United Nations (2020). World Migration Report 2020; International Organization for Migration: Grand-Saconnex, Switzerland.
- United Nations (2022). World Migration Report 2022; https://worldmigrationreport.iom.int/wmr-2022-interactive/
- Young,Julie.(2020).What is Brain Drain? https://www.investopedia.com/terms/b/brain_drain.asp